ضياء العزاوي

من أعمال الفنان ضياء العزاوي، لوحة WINDOW 2000، من الأكليريك والخشب

وصف الكثيرون من رواد الفن أعمال الفنان العراقي ضياء العزاوي Dia Al Azzawi بأنها لا تُعبر عن الفن العراقي فحسب، بل هي امتداد للتراث العربي والتضامن الذي لا ينقطع بين الثقافات والحضارات عبر الأزمنة، إذ اتبع العزاوي خطى رائد التكعيبية بيكاسو، فعرض الفن الإفريقي، والإسباني، والبرتغالي، مندمجاً بالفن الغربي الحديث، وامتد الخيط ذاته بانسيابية جامعاً بين علم العمارة السومرية وديناميكية الحداثة في إطار واحد.. وفي المحصلة يعدّ العزاوي الرسام العربي الوحيد الذي أنجز هذا العمل البطولي بسلاسة وإتقان.

يمتاز الفنان ضياء العزاوي عن غيره بكونه أحد أبرز الرسامين العرب والعالميين الذين برعوا في الدمج بين الخط العربي والفن المعاصر، وهو أمر شكل تحدياً للكثيرين من الفنانين المعاصرين، كما أن فنان أسهم في انصهار عناصر ثلاثة هي (الجمال، المشهد، الفكرة)، من خلال أعماله، الأمر الذي برز بوضوح عبر تداخل الكلمة والعمل الفني في تلك الأعمال، حتى أتت مشبعه بالتراث السومري، عاكسةً نوعاً جديداً من الرسم يعتمد مرجعية له فترة ما قبل الإسلام وبلاد سومر والإمبراطورية الآشورية والفرعونية، مستخدماً لتحقيق هذا الغرض مجموعة خاصة من الألوان من خلاصة الزيوت التي تذكّر بالأعمال السومرية.. طبعاً فضلاً عن تأثره بالشعر والفنون الشعبية العربية.

ولد العزاوي في العراق العام 1939، وحصل على شهادة في علم الآثار من جامعة بغداد العام 1962م، وانتقل إلى لندن في العام 1976 إلاّ أنه ما زال يتملكه الحنين ذاته إلى بلده: «أحمل الجنسية البريطانية.. ودمي عربي».

هو محب للأناقة، ومدرك لأسرارها، ولذا نجده يستخدم هذه المواصفات الفريدة لرسم أحرف الخط العربي الأنيقة، فالكلمة المكتوبة موجودة في لوحاته على الدوام، في سعيه للدمج بين التراث القديم والتقنيات الأوروبية الحديثة. كذلك هو قد ألف كتباً على غرار كتاب «ألف ليلة وليلة» و«ملحمة جلجامش» الكلاسيكية، ولأنه من غير الممكن سلخ الفنان عن واقعة فقد تأثرت بعض أعماله بالواقع الأليم، من حوله، متمثلاً في العنف السياسي والرعب والبؤس والصدمة والحرب، الأمر الذي جعله عرضةً للكثير من الانتقادات، وكان أبرزها محاولة بعض النقاد اتهامه بالفصل بين «العربية» و«غير العربية» في أعماله، على الرغم من الارتباط الوثيق بين الحالتين.. لكنه تصدى لذلك وردَّ على منتقديه بجواب حاسم عبر تقديمه الكثير من الأعمال التي تعبر عن الحالات الإنسانية جميعها، العدواني منها، والوجودي، والسياسي، والمأساوي.. كما بأعمال تحمل سمات المرح، منتصراً للحياة في مجابهة الموت. وذلك تعزيزاً لتوجهه نحو ابتكار حالة حضارية عربية تهدف إلى نشر الرفاهية الفنية للجميع.. وبذلك فقد حصد إعجاب الكثيرين وفي مقدمتهم الناقد الفني Claude Lemand (صاحب غاليري Claude Lemand في باريس، حيث تعرض أعمال العزاوي)، الذي وصفه بأنه سيد الطباعة العربية. استطاع العزاوي ترسيخ سمعة دولية واسعة تحترم توجهاته الفنية الفريدة، فعرضت أعماله على نطاق واسع في أوروبا والشرق الأوسط والولايات المتحدة والهند.. كما نالت لوحاته مكانة مرموقة في صروح عدة كالمتحف البريطاني في لندن ومكتبة الكونغرس في واشنطن ومعهد العالم العربي في باريس، علاوة على متاحف الفنون في دمشق وعمان وتونس، ومتحف قطر، الذي حصل مؤخراً على لوحة Desert Flower Monument، كما وسيشهد العام 2009 صدور كتابين للفنان ضياء العزاوي.

Text by Mahmoud Diab